تسلية المصاب

تسلية لأهل المصائب والبلايا ووسائل دفعها وصور من
حياة السلف الصالح في صبرهم ورضاهم بما نزل بهم

إعداد
محمد حامد محمد



رقم الإيداع ١٨٩١٥ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى
977 - 331 - 074 - 4

الطبعة الأولى

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩، ٥٤٤٦٤٩٦


بسم الله
الرحمن
الرحيم

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ (٣) .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

فإن من شأن هذه الحياة الدنيا النَّصب والكدر، والمصائب والنوازل والهموم والغموم ، وإذا قُضيت المصائب والمكاره على الخلق انقسموا فيها أربعة أقسام :

الأول : الظالمون وهم أهل الجزع والسخط .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٠٢ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١ » .
(٣) سورة الأحزاب الآية « ٧٠ ، ٧١ » .

والثاني : الصابرون وهم الذين حبسوا قلوبهم عن التسخط على المقدور وألسنتهم عن الشكوى ، وجوارحهم عن أفعال الساخطين ، فهؤلاء لهم أجرهم بغير حساب .

والثالث : الراضون عن الله الذين كملوا مراتب الصبر ، واطمأنت قلوبهم لأقدار الله المؤلمة ، ورضوا بها ، ولم يودوا أنهم لم يصابوا بها ، بل رضوا بما رضى الله به لهم ، فرضوا عن الله ورضى الله عنهم .

والرابع : الشاكرون وهم من ارتفعت على هؤلاء كلهم درجاتهم ، فصبروا لله ورضوا بقضاء الله ولكنهم شكروا الله على الضراء كما شكروه على السراء ، وحمدوه على المصائب والمضار كما حمدوه على المحاب والمسار ، فهؤلاء الشاكرون الأصفياء الأبرار ، وهم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (١) .

وهذه الرسالة التي بين يديك [**تسلية لأهل المصائب والبلايا ووسائل دفعها وصور من حياة السلف الصالح فى صبرهم ورضاهم بما نزل بهم**] .

أسأل الله أن ينفعنا بها ومن قرأها ومن طبعها وكل من ساعد فى نشرها ، هو ولي ذلك ونعم النصير .

كتبه

محمد حامد محمد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

---

(١) سورة سبأ الآية « ١٣ » .
(٢) بتصرف من الرياض النضرة ، لابن سعدى « ص ٨٥ » .

فضيلة الصبر والصابرين

الصبر هو حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ونحو ذلك .

وقد ورد فى فضل الصبر والصابرين الكثير والكثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وإنّا لنذكر هنا طرفاً من ذلك .

● قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ (١) .

والمصيبة هى كل ما يؤذى الإنسان ويصيبه وينزل به .

● وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) ، وإنما كان لهم ذاك الفضل العظيم لعدم تسخطهم بما نزل بهم من مصائب وبلايا .

● ومن صبر فهو فى معية الله وحفظه ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة البقرة الآيات « ٥٥ – ١٥٧ » .
(٢) سورة الزمر الآية « ١٠ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٤٦ » .

● وبالصبر تنال الإمامة فى الدين ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ (١) .

● ولدفع كيد الكائدين فعلينا بالصبر ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) ﴾ (٢) .

● والفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) ﴾ (٣) .

● ويكفى أنك تعلم أن الله يحب الصابرين ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤) .

واعلم أن الصبر مؤذن بالقوة والشجاعة والثبات والإيمان ، والجزع عنوان الجبن والضعف والهلع والخسران .

وما نال من نال من خير الدنيا والآخرة إلا بالصبر ، ولا حُرم من حُرم إلا بفقده ، قال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) ﴾ (٥) .

ومن كلام المعصوم ﷺ نورد بعضه فى فضل الصبر والصابرين .

---

(١) سورة السجدة الآية « ٤٦ » .
(٢) سورة آل عمران الآية « ١٢٠ » .
(٣) سورة المؤمنون الآية « ١١١ » .
(٤) سورة آل عمران الآية « ١٤٦ » .
(٥) سورة الرعد الآية « ٢٣ » .

فضل الصبر والصابرين :

● عن أبى مالك الحارث بن عاصم الأشعرى – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حُجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائعٌ نفسَه فمعتقُها أو موبقها** » (١) ، قال ابن رجب – رحمه الله – : ولما كان الصبر شاقاً على النفوس يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه كان ضياء . أ هـ .

● وعن أبى سعيد الخدرى – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **من يتصبَّر يُصبِّره الله ، وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر** » (٢) ، قال ابن حجر – رحمه الله – : « وأن الصبر أفضل ما يعطاه المرء لكون الجزاء عليه غير مقدور ولا محدود ... ثم قال –رحمه الله – وقال القرطبى: وقوله : « من يتصبَّر » أى يعالج نفسه على ترك السؤال ويصبر إلى أن يحصل له الرزق ، وقوله : « يصبِّره الله » أى فإنه يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له ويذعن لتحمل الشدة ، فعند ذلك يكون الله معه فيظفره بمطلوبه » . أ هـ .

● وعن أبى يحيى صهيب بن سنان – رضي الله عنه – قال : « قال رسول الله ﷺ : « **عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كلَّه خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إنْ أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له** » (٣) ، وقال ابن سعدى – رحمه الله – : « الحالة الثانية : أن

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٢٣ » وأحمد « ٤٣٢/٥ ، ٣٤٣ » .
(٢) صحيح : أخرجه البخارى « ١٤٦٩ » ومسلم « ١٠٥٣ » .
(٣) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٩٩٩ » والدارمي « ٢٧٧٧ » .

يحصل للعبد المكروه أو يفقد المحبوب ، فيحدث له هماً وحزناً ، بل تكون شكواه لخالقه ، ومن كان فى الضراء صبوراً ، وفى السراء شكوراً لم يزل يغنم من ربه الثواب الجزيل ، ويكتسب الذكر الجميل » (١) أ هـ .

● وعن أبى هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه** » (٢) ، أى يصيبه ببلاء .

● وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مصيبة تُصيب المؤمن إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها** » (٣) ، وفى رواية لمسلم : « **ما يُصيب المؤمن من وَصبٍ ولا نصبٍ وإلا سقمٍ ولا حَزَنٍ حتى الهمّ يُهمُّه إلا كُفِّر به من سيئاته** » (٤) .

فليعم المهموم أن ما يصيبه من الأذى النفسي نتيجة للهم لا يذهب سدى ، بل هو مفيد فى تكثير حسناته وتكفير سيئاته ، وأن يعلم المسلم أنه لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس كما ذكر بعض السلف ، ولذلك كان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء (٥) .

● وعن أبى هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله عز وجل : ما لعبدى المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** » (٦) .

---

(١) الرياض الناضرة « ص ٧٩ » .
(٢) صحيح : أخرجه البخارى « ٥٦٤٥ » ومالك « ٩٥٤١/٢ » .
(٣) صحيح أخرجه البخارى « ٥٦٤٠ » ومسلم « ٢٥٧٢ » .
(٤) صحيح : أخرجه البخارى « ٥٦٤١ » ومسلم « ٢٥٧٣ » .
(٥) علاج الهموم ، محمد صالح المنجد ، « ص ١٩ » .
(٦) صحيح أخرجه البخارى « ٦٤٢٤ » .

● وعن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمر الله – إنا لله وإنا إليه راجعون – اللهم أجرني فى مصيبتى واخلف لي خيراً منها ، إلا أخلف الله خيراً منها** » [١] .

قال القرطبى – رحمه الله تعالى – : « قوله تعالى – ﴿ إنا لله وإنا إليه رَاجِعُونَ ﴾ [٢] – جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوى المصائب ، وعصمة للممتحنين ، لما جمعت من المعانى المباركة ، فإن قوله : ﴿ إنا لله ﴾ توحيد وإقرار بالعبودية والملك ، وقوله : ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، إقرار بالهلك على أنفسنا والبعث من قبورنا ، واليقين أن رجوع الأمر كله إليه كما هو له .

قال سعيد بن جبير – رحمه الله تعالى – : لم تعط هذه الكلمات نبياً قبل نبينا ، ولو عرفها يعقوب لما قال : ﴿ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [٣] . أ هـ .

قال ابن سعدى – رحمه الله – إذا أصيب العبد بمصيبة فلجأ إلى الصبر والاحتساب خفت وطأتها وهانت مشقتها ، وتم له أجرها وكان من الفضلاء الكرام ، ومن ضعف صبره وحضر جزعه اشتدت مصيبته ، وتضاعفت آلامه القلبية والبدنية وفاته الثواب ، واستحق العقاب ، ولابد أن يعلم فى آخر أمره فيسلوا سلو البهائم ، وذلك من أخلاق اللئام [٤] . أ هـ .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم « ٩١٨ » ومالك « ١ / ٢٣٦ » الجنائز وابن ماجة « ١٥٩٨ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ١٥٦ » .
(٣) الجامع لأحكام القرآن « ١٨١/٢ » ، سورة يوسف الآية « ٨٤ » .
(٤) الرياض الناضرة ، « ٨٢ » .

الصبر على البلاء والنوازل والمصائب

والصبر على البلاء بضاعة الصدِّيقين ، فإن ذلك شديد على النفس ، ولذلك قال ﷺ : « **أسألك من اليقين ما تهوّن عليّ به مصائب الدنيا** » (١) ، فهذا صبر مستنده حُسن اليقين .

والصبر من آكد المنازل فى طريق المحبة وألزمها للمحبيِّن وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة ، وهو من أعرف المنازل فى طريق التوحيد وأبينها .

وبهذا الصبر يُعلم صحيح المحبة من معلولها ، وصادقها من كاذبها ، فإن بقوة الصبر على المكاره فى مراد المحبوب يُعلم صحة محبته .

ومن ها هنا كانت محبة أكثر الناس كاذبة ، لأنهم كلهم ادّعوا محبة الله تعالى ، فحين امتحنهم بالمكاره انخلعوا عن حقيقة المحبة ، ولم يثبت معها إلا الصابرون ، فلولا تحمُّل المشاق ، وتجشُّم المكاره بالصبر ، لما ثبتتْ صحة محبتهم ، وقد تبيَّن بذلك أن أعظمهم محبة أشدهم صبراً .

ولهذا وصف الله تعالى بالصبر خاصة أوليائه وأحبابه ، فقال عن حبيبه أيوب : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ ﴾ (٢) ، ثم أثنى عليه فقال : ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣) ، فصلى الله على نبيه أيوب ، فكم كان صبره حتى ضُرب به المثل ، وكم كان أدبه فى صبره إذ قال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) ﴾ (٤) ، فقال : ﴿ مَسَّنِيَ ﴾ ،

---

(١) **حديث حسن** : وهو جزء من حديث ابن عمر عند الترمذى « ٣٥٠٢ » .
(٢) ، (٣) سورة ص الآية « ٤٤ » .
(٤) سورة الأنبياء الآية « ٨٣ » .

ولم يقل : هدّني .

قال رسول الله ﷺ : « أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الصالحون ، لقد كان أحدهم يُبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة ، يجوبها [١] ، فيلبسها ، ويُبتلى بالقمل حتى يقتله ، ولأحدُهم كان أشدَّ فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء » [٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « ليودّنّ أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قُرضت بالمقاريض ، مما يرون من ثواب أهل البلاء » [٣] .

وقال ﷺ : « إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَمَ البلاء ، وإن الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السُّخط » [٤] .

وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة ، فما يبلغها بعمل ، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يُبلّغه إياها » [٥] .

وعنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة » [٦] .

---

(١) أى : يقطع وسطها ليلبسها .

(٢) **صحيح** : أخرجه ابن ماجة « ٤٠٢٤ » وابن سعد « ٢٠٨/٢ » والحاكم « ٣٠٧/٤ » وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ، وهو فى صحيح الجامع برقم « ٩٩٥ » .

(٣) **حديث حسن** : أخرجه الترمذى « ٢٤٠٤ » وقال : حديث غريب ، وحسنه الألبانى فى الصحيحة برقم « ٢٢٠٦ » .

(٤) **حديث حسن** : أخرجه ابن ماجه « ٤٠٣١ » وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم « ١٤٦ » .

(٥) **حديث حسن**: أخرجه الحاكم « ٣٤٤/١ » وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم «١٦٢٥».

(٦) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى « ٢٣٩٩ » والحاكم « ٣١٤/٤» وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا ابتلى الله عز وجل العبد المسلم ببلاءٍ في جسده قال الله عز وجل للملَك : اكْتُبْ له صالح عمله الذى كان يعمل وإن شفاه غسله وطهّره وإنْ قبضه غفر له ورحمه** » [(١)] .

فإذا علم العبد أن ما يصيبه من المصائب يكفّر عنه سيئاته فرح واستبشر ، وخصوصاً إذا عوجل بشىء بعد الذنب مباشرة كما وقع لبعض الصحابة – رضى الله عنهم – فيما رواه عبد الله بن مغفل – رضي الله عنه – أن رجلاً لقى امرأة كانت بغياً فى الجاهلية فجعل يُلاعبها حتى بسط يده إليها ، فقالت المرأة : مَهْ فإن الله عز وجل قد ذهب بالشرك ، وقال عفان مرّة ذهب بالجاهلية وجاءنا بالإسلام فولّى الرجل فأصاب وجهه الحائط فشجُّه ثم أتى النبى ﷺ فأخبره فقال : « **أنت عبدٌ أراد الله بك خيراً إذا أراد الله عز وجل بعبدٍ خيراً عجّل له عقوبة ذنبه وإذا أراد بعبد شراً أمسك عليه بذنبه حتى يُوفَّى به يوم القيامة كأنه عَيْرٌ** » [(٢)] .

وقال النبى ﷺ : « **إن الله إذا أراد بعبداً خيراً عجل له العقوبة فى الدنيا ، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عنه حتى يوافى يوم القيامة بذنبه** » [(٣)] .

---

(١) **حديث حسن** : أخرجه أحمد « ٢٥٨/٣ » وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم « ٢٥٨ » .

(٢) رواه أحمد « ٨٧/٤ » والحاكم « ٣٤٩/١ » وفى إسناده الحسن ، وهو مدلس ، وقد عنعن ولكن روى صالح بن أحمد بن حنبل قال : قال أبى : سمع الحسن من أنس بن مالك وعن ابن مغفل . كتاب المراسيل لابن أبى حاتم « ص ٤٥ » باب ما يثبت للحسن البصرى سماعه من أصحاب رسول الله ﷺ . وانظر السير للذهبى « ٥٨٨/٤ » .

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى « ٢٣٩٦ » .

صور من صبر السلف الصالح ورضاهم بما نزل بهم

١ - ما أعقلها من امرأة !! :

عن أنس - رضي الله عنه - قال : اشتكى ابن لأبى طلحة قال : فمات وأبوه أبو طلحة خارج ، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ، وجعلت ابنها فى جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح ، وظن أبو طلحة أنها صادقة ، قال : فبات ، فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات ، فصلى مع النبي ﷺ ثم أخبره بما كان منها ، فقال رسول الله ﷺ : « **لعلّ الله أن يبارك لكما فى ليلتكما** » ، فقال رجل من الأنصار : فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن (١) .

فهذه المرأة لم تهلع ولم تجزع كعادة النساء فى مثل هذه المواقف ، ولكن تصبّرت وتجلدت ، فكان جزاء ذلك أن بارك الله فى ذريتهم ، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه .

٢ - الصرع ليس له جزاء إلا الجنة :

عن عطاء بن أبى رباح قال : قال لي ابن عباس - رضى الله عنهما - : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت : إنى أُصرع ، وإنى أتكشف فادع الله لي ، قال : « **إن**

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى « ٥٦٥٢ » ومسلم « ٢٥٧٦ » .

شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك » ، فقالت : أصبر . فقالت : إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف ، فدعا لها [(١)] .

رضي الله عنها ، صبرت على الصرع فكان جزاؤها الجنة ، فما أعقلها وما أصبرها !! .

٣ - كيف أشكو سواه ؟! :

قال مغيرة : ذهبتْ عينُ الأحنف بن قيس ، فقال : ذهبتْ من أربعين سنة ، ما شكوتُها إلى أحد [(٢)] ، لسان حاله يقول :

وإذا شكوتَ إلى ابن آدم إنما ... تشكُو الرحيم إلى الذى لا يرحمك

٤ - ما أحبُّ أن يكون لي مكانها حُمر النَّعم :

عن قيس بن مسلم عن طارق أن عمر كتب إلى أبى عبيدة فى الطاعون : إنه قد عرضت لي حاجة ولا غنى بي عنك فيها فعجِّل إلي ، فلما قرأ الكتاب قال : عرفت حاجة أمير المؤمنين ، إنه يريد أن يستبقى ما ليس بباقٍ . فكتب : إنى قد عرفت حاجتك فحللني من عزيمتك فإنى فى جندٍ من أجناد المسلمين لا أرغب بنفسي عنهم . فلما قرأ عمر الكتاب بكى ، فقيل له : مات أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكأن قَدْ ؟ .

قال : فتوفي أبو عبيدة وانكشف الطاعون [(٣)] .

وعن الحارث بن عميرة قال : أخذ بيدي معاذ بن جبل فأرسله إلى أبى عبيدة فسأله كيف هو - وقد طُعِنَا - فأراه أبو عبيدة طعنة خرجت فى كفه ،

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى « ٥٤٧٠ » ومسلم « ٢١٤٤ » .
(٢) سير أعلام النبلاء « ٩٢/٤ » .
(٣) السير « ١/ ١٨ » .

فتكاثر شأنها فى نفس الحارث ، وفرّق منها حين رآها ، فأقسم أبو عبيدة بالله ما يحب أن له مكانها حُمر النّعم [(١)] .

فصبره - رضي الله عنه - وعدم استجابته لاستدعاء أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - ثم رضاه بما أصيب به من الطاعون ، وعدم تمنيه زوال البلاء هو عين الرضا ، وهو أعلى الدرجات .

٥ - ساقٌ ما مشيت إلى الحرام ... أتقطع ؟! :

قَدِمَ عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، فدخل يوماً على الوليد فى ثياب وشي ، وله غديرتان وهو يضرب بيده ، فقال الوليد : هكذا تكون فتيان قريش . فعانه [(٢)] ، فخرج من عنده متوسّناً ، فوقع فى إصطبل الدوابّ ، فلم تزل الدوابُّ تطؤه بأرجلها حتى مات ، ثم إنّ الأكلة وقعت فى رجل عروة ، فبعث إليه الوليد الأطباء ، فقالوا : إنْ لم تقطعها ، سرتْ إلى باقى الجسد فتهلك ، فعزم على قطعها ، فنشروها بالمنشار ، فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة ، فغُشِي عليه ، ثم أفاق والعَرَق يتحدّر على وجهه وهو يهلّل ويكبّر ، فأخذها وجعل يقبّلها فى يده ، ثم قال : أما والذى حملنى عليك ، إنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام ، ولا إلى معصية ، ولا إلى ما لا يُرضي الله ، ثم أمر بها ، فغُسّلتْ وطُيّبتْ وكُفّنتْ فى قطيفة ، ثم بُعِثَ بها إلى مقابر المسلمين ، فلما قدم من عند الوليد المدينة ، تلقّاه أهل بيته وأصدقاؤه يعزّونه ، فجعل يقول : ﴿ لَقَدْ لقينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ [(٣)] ، ولم يزد عليه . وقال : اللهم كان

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير برقم « ٣٦٤ » والحاكم « ٢٦٣/٣ » .
(٢) أى : أصابه بعينه ، حسده .
(٣) سورة الكهف الآية « ٦٢ » .

لي بنـون سبعة فأخـذت منهم واحـداً وأبقيت لي ستة ، وكان لي أطـرف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة ، فإن ابتليت لقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت (١) .

قال ابن القيم : ولما أرادوا قطع رجله ، قالوا له : لو سقيناك شيئاً كي لا تشعر بالوجع فقال : إنما ابتلانى ليرى صبرى ، أفأعارض أمره ؟! (٢) .

٦ – الصبر على الجوع والفقر :

قال إبراهيم الحربّي : قميصي أنظف قميص ، وإزاري أوسخ إزارٍ ، ما حدّثتُ نفسي أن أصلحها ، ولا شكوتُ إلى أهلي وأقاربي حُمَّى أجدها ، لا يغمُّ الرجل نفسه وعياله ، ولي عشر سنين أُبصر بِفرْد عينٍ ، وما أخبرتُ به أحداً وأفنيتُ من عمري ثلاثين سنة برغيفين ، إن جاءتنى بهما أمي أو أختي ، وإلا بقيتُ جائعاً إلى الليلة الثانية ، وأفنيت ثلاثين سنة برغيف فى اليوم والليلة ، إن جاءتنى امرأتى أو بناتى به ، وإلاّ بقيتُ جائعاً ، والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة ، وقام إفطارى فى رمضان هذا بدرهم ودانقين ونصف (٣) .

٧ – الحمد لله الذى شرفني بقتلهم :

حضرت الخنساء – رضى الله عنها – حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فوعظتهم وحرضتهم على القتال وعدم الفرار ، وقالت : إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، وإنكم لابن أب واحد ، وأم واحدة ، ماخنت أباكم ولا فضحت أخوالكم ؛ فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا .

---

(١) تاريخ الإسلام « ٢٤٧/٦ » .
(٢) عدة الصابرين « ص ٩١ » .
(٣) السير « ١٣ / ٣٦٧ » .

فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذى شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم فى دار كرامته .

قالوا : وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يعطى الخنساء أرزاق أولادها الأربعة حتى قبض [(١)] .

٨ - قضاء الله أحسن من ردّ بصري :

لما قدم سعد بن أبى وقاص مكة ، وقد كان كُفَّ بصره ، جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا ، وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب : فأتيته وأنا غلام فتعرفت عليه فعرفني . وقال : أنت قارئ أهل مكة ؟ قلت : نعم ، فذكر القصة ، قال فى آخرها : فقلت له : ياعم ، أن تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فردّ عليك بصرك ؟! ، فتبسم وقال : يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري [(٢)] .

٩ - الصبر الجميل :

قال الذهبى : إن أبا قلابة ممن ابُتلى فى بدنه ودينه ، أُريد على القضاء ، فهرب إلى الشام ، فمات بعريش مصر سنة أربع ، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره ، وهو مع ذلك حامد شاكر [(٣)] . أ هـ .

وقد روى ابن حبان قصة صبره الكريم الجميل النبيل : قال ابن حبان : حدثنى بقصة موته محمد بن المنذر بن سعيد ، قال : ثنى يعقوب بن إسحاق بن الجراح ، قال : ثنى الفضل بن عيسى ، عن بقية بن الوليد ،

---

(١) الإصابة « ٨/ ٦٦ » .
(٢) إحياء علوم الدين « ٤/ ٣٦٨ » .
(٣) السير « ٤/ ٤٧٥ » .

حدثني الأوزاعي ، عن عبد الله بن محمد ، قال : خرجت إلى ساحل البحر مرابطاً وكان رابطنا يومئذ عريش مصر . قال : فلما انتهيتُ إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة ، وفى البطيحة خيمة ، فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه ، وثَقُل سمعه وبصره ، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه ، وهو يقول : « اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً ، أكافئ به شكر نعمتك التى أنعمَ بها عليّ ، وفضّلتني على كثير ممن خلقتَ تفضيلاً » ، قال الأوزاعي : قال عبد الله : قلتُ : والله لآتينّ هذا الرجل ، ولأسألنّه أنّي له هذا الكلام ، فهمٌ أم علمٌ أم إلهامٌ أُلهِمَ ؟ فأتيت الرجل فسلّمتُ عليه ، فقلت : سمعتك وأنت تقول : « اللهم ... تفضيلاً » ، فأيّ نعمة من نِعمَ الله عليك تحمده عليها ، وأيٌّ فضيلة تفضّل بها عليك تشكره عليها ؟ قال : وما ترى ما صنع ربّى ؟! والله لو أرسل السماء عليّ ناراً فأحرقتني ، وأمر الجبال فدمّرتنى ، وأمر البحار فأغرقتنى وأمر الأرض فبلعتنى ، ما ازددتُ لربي إلا شكراً ، لِما أنعم عليّ من لسانى هذا ، ولكن ياعبد الله إذا أتيتنى ، لى إليك حاجة ، قد ترانى على أيّ حالة أنا ، أنا لستُ أقدر لنفسي على ضُرٌّ ولا نفع ، ولقد كان معي بنيٌّ لي يتعاهدني فى وقت صلاتى ، فيوضّينى وإذا جعتُ أطعمنى ، وإذا عطشت سقانى ، ولقد فقدتُه منذ ثلاثة أيام ، فتحسسّه لي رحمك الله . فقلتُ : والله ما مشى خلقٌ فى حاجة خلق ، كان أعظم عند الله أجراً ممن يمشى فى حاجة مثلك ، فمضيتُ فى طلب الغلام ، فما مضيتُ غير بعيد ، حتى صرتُ بين كثبان من الرمل ، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سَبعٌ وأكل لحمه ، فاسترجعتُ وقلت : أنّى لي وجهٌ رقيق آتى به الرجل ؟! ، فبينما أنا مُقبل نحوه ، إذ خطر على قلبى ذكرُ أيوب النبى - عليه السلام - ، فلما أتيته سلّمتُ عليه ، فردّ عليّ السلام ، فقال : ألستَ بصاحبى ؟ قلت : بلى ، قال : ما فعلتَ فى حاجتى ؟ فقلت : أنت أكرم

على الله أم أيوب النبى ؟ قال : بل أيوب النبى . قلت : هل علمتَ ما صنع به ربه ؟ ، أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده ؟ قال : بلى . قلت : فكيف وَجَدَه ؟ ، قال : وجده صابراً شاكراً حامداً . قلتُ : لم يرض منه ذلك حتى أوحشَ من أقربائه وأحبّائه ؟ قال : نعم . قلتُ : فكيف وجده ربه ؟ قال : صابراً شاكراً حامداً ، أوجزْ رحمك الله .

قلت له : إن الغلام الذى أرسلتنى فى طلبه وجدته بين كثبان الرمل، وقد افترسه سبعٌ فأكل لحمه ، فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر،فقال المبتلى : الحمد لله الذى لم يخلقْ من ذُريتى خلقاً يعصيه ، فيعذبه بالنار ، ثم استرجع وشهق شهقة فمات ، فقلتُ : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، عظمت مصيبتى ، رجلٌ مثل هذا إنْ تركته أكلته السباع ، وإنْ قعدتُ عند رأسه باكياً ، فبينما أنا قاعد إذ تهجّم عليّ أربعة رجال ، فقالوا : يا عبد الله ، ماحالك ؟ وما قصّتُك ؟ فقصصتُ عليهم قصّتى وقصته ، فقالوا لي : اكشفْ لنا عن وجهه ، فعسى أن نعرفه ، فكشفتُ عن وجهه ، فانكبَّ القوم عليه ، يقبِّلون عينيه مرةً ، ويديه أخرى ، ويقول : بأبي عينٌ طالما غُضّتْ عن محارم الله ، وبأبي جِسم طالما كان ساجداً والناس نيام . فقلتُ : مَنْ هذا يرحمكم الله ؟ فقالوا : هذا أبو قلابة الجرمي ، صاحب ابن عباس ، لقد كان شديد الحبّ لله وللنبى ﷺ .

فغسّلناه وكفّناه بأثواب كانت معنا ، وصلّينا عليه ودفنّاه ؛ فانصرف القوم وانصرفتُ إلى رباطي ، فلما أن جنّ عليّ الليل ، وضعت رأسي فرأيته فيما يرى النائم فى روضة من رياض الجنة ، وعليه حُلّتان من حلل الجنة ، وهو يتلو الوحى ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [(١)] ، فقلت :

---

(١) سورة الرعد الآية « ٢٤ » .

ألستَ بصاحبي ؟ قال : بلى ، قلتُ : أنّى لك هذا ؟ قال : إن لله درجات لا تُنال إلا بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية (١) .

١٠ - شجاعة ... وصبر :

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فغشينا داراً من دور المشركين فأصبنا امرأة رجل منهم ، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً ، وجاء صاحبها وكان غائباً فذكر له مصابها فحلف لا يرجع حتى يهريق في أصحاب رسول الله ﷺ دماً ، فلما كان رسول الله ﷺ في بعض الطريق نزل في شِعب من الشِعاب وقال : « **من رجلان يكلآننا في ليلتنا هذه من عـــدونا** » ، قال : فقال رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار : نحن نكلؤك يارسول الله .

قال : فخرجنا إلى فم الشِعب دون العسكر ، ثم قال الأنصاري للمهاجري : أتكفيني أول الليل وأكفيك آخره ، أو تكفيني آخره وأكفيك أوله ؟ ، قال : فقال له المهاجري : بل اكفني أوله وأكفيك آخره .

فنام المهاجري ، وقام الأنصاري يصلي ، قال : فافتتح سورة من القرآن فبينا هو فيها يقرؤها جاء زوج المرأة ، فلما رأى الرجل قائماً عرف أنه ربيئة القوم ، فينزع له بسهم فيضعه فيه . قال : فينزعه فيضعه هو وقائم يقرأ في السورة التي هو فيها ، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها . قال : ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر فوضعه فيه ، قال : فانتزعه وهو قائم يصلي في السورة التي هو فيها ولم

---

(١) الثقات لابن حبان « ٥/ ٥٠٢ » .

يتحرك كراهية أن يقطعها ، ثم عاد له زوج المرأة المرة الثالثة بسهم فوضعه فيه قال : فانتزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم قال لصاحبه : اقعد فقد أتيت . قال : فجلس المهاجري فلما رآهما صاحب المرأة هرب ، وعرف أنه قد نُذِر به ، قال : وإذا الأنصارى يفوح دماً من رميات صاحب المرأة .

قال : فقال له أخوه المهاجرى : يغفر الله لك ألا كنت آذنتني أول ما رماك . قال : كنت فى سورة من القرآن قد افتتحتها أصلي بها فكرهت أن أقطعها .

وأيم الله لولا أنى أضيع ثغراً أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها (١) .

١١ - ... لأنه من بيت النبوة :

دخل عبد الله بن الزبير على أمه أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - فقال : يا أُمَّه خذلني الناس ، حتى أهلي وولدى ، ولم يبق معى إلا اليسير ، ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار ، وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ .

فقالت : الله الله يابني ، إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه فامض عليه ، ولا تمكن من رقبتك غِلمان بنى أمية فيلعبوا بك ، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن معك ، وإن قلت : إنى كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت نيتي ، فليس هذا فعل الأحرار ، ولا من فيه خير ، كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن ما يقع بك يابن الزبير ، والله لضربة بالسيف فى عِزٍّ أحبّ إليّ من ضربة بالسوط فى ذلٍ .

---

(١) صفة الصفوة « ١/٧٧٣ - ٧٧٥ » .

فقال : يا أماه ، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني .

قالت : يا بني إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح فامض على بصيرتك واستعن بالله ، فقبّل رأسها وقال لها : هذا والله رأيي ، والذي قمت به داعياً إلى الله ، والله ما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تنتهك محارمه ، ولكني أحببت أن أطلّع على رأيك فيزيدني قوة وبصيرة مع قوتي وبصيرتي ، والله ما تعمدت إتيان منكر ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم أجُرْ في حكم ، ولم أغدر في أمان ولم يبلغني عن عما لي حَيفٌ فرضيتُ به ، بل أنكرت ذلك ، ولم يكن عندي شيء آثر من رضاء ربي ، اللهم إني لا أقول ذلك تزكية لنفسي ، ولكن أقوله تعزيةً لأمي لتسلوَ عني .

فقالت : والله إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً ، إن تقدمتني احتسبتك ، وإن ظفرت سررت بظفرك ، اخرج حتى أنظر إلام يصير أمرك .

ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة ، وبره بأمه ، اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك ، ورضيت فيه بقضائك ، فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين .

قال : يا أمي لا تدعي الدعاء لي قبل قتلي ولا بعده .

فقالت : لن أدعه ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ، فتناول يدها ليقبلها ، فقالت : هذا وداع فلا تبعد ، فقال لها : جئت مودعاً لأني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا قالت : امض على بصيرتك ، وادن منّي حتى أودعك . فدنا منها فعانقته وقبلته فوقعت يدها على الدرع . فقالت : ما هذا صنيع من يريد ما تريد ، فقال : ما لبستها إلا لأشد متنك .

قالت : إنها لا تشد متني ، فنزعها ثم درج لمته وشد قميصه وجبته وخرج

وهو يقول :

أبي لابن سلمى أن يُعيَّر خالداً ... مُلاقي المنايا أيَّ صَرْفٍ تيمما
فلستُ بمبتاع الحياة بُسبَّةٍ ... ولا مُرتقٍ من خشية الموت سُلَّما

وقال لأصحابه : احملوا على بركة الله ، وليشغل كل منكم رجلاً ، ولا يلهينكم السؤال عني ، فإني على الرعيل الأول ، ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون ، وهناك رماه رجل من أهل الشام بحجر فأصاب وجهه ، فأخذته منه رعدة ، فدخل شِعباً من شِعاب مكة يستدمي ، فبصرت به مولاة له . فقالت : وا أمير المؤمنين ... فتكاثر عليه أعداؤه عند ذلك فقتلوه ، وصلبه الحجاج ، فأقام جثمانه على الجذع حتى إذا أمر عبد الملك بإنزاله أخذته أمه فغسلته بعد أن ذهبوا برأسه ، وذهب البلى بأوصاله ، ثم كفنته وصلت عليه ودفنته [(١)] .

١٢ - أتمنى موت ابني :

عن محمد بن خلف قال : كان لإبراهيم الحربى ابن كان له إحدى عشرة سنة ، حفظ القرآن ، ولقَّنه من الفقه جانباً كبيراً ، قال : فمات .

فجئت أُعزيه . فقال : كنت أشتهى موت ابنى هذا .

قال : فقلت له : يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبي قد أنجب ، ولقنته الحديث والفقه ؟! .

قال : نعم ، رأيت فى منامي كأن القيامة قد قامت ، وكأن صبياناً بأيديهم قِلال فيها ماء ، يستقبلون الناس فيسقونهم ، وكان اليوم يوماً حاراً شديداً

---

(١) نقلاً عن عودة الحجاب « ١٩٣/٢ - ١٩٥ » وانظر : السير « ٢٩٤/٢ ، ٢٩٥ » .

حره . قال : فقلت لأحدهم : اسقني من هذا الماء ، فنظر إليّ وقال : ليس أنت أبى . قلت : فأى شيء أنتم ؟ فقال لي : نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا ، وخلّفنا أباءنا ، فنستقبلهم نسقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته (١) .

١٣ – أسرة صابرة :

وهذه زوجة فتح الموصلى ، انقطعت إصبعها ، فضحكتْ ، فقال لها بعض مَنْ معها : أتضحكين وقد انقطع إصبعك ؟! فقالت : أخاطبك على قدر عقلك ، حلاوة أجرها أنستْني مرارة قطعها .

قال ابن القيم : « إشارة إلى أن عقله لا يحتمل ما فوق هذا المقام ، من ملاحظة المبتلى ، ومشاهدة حُسن اختياره لها فى ذلك البلاء ، وتلذُّذها بالشكر له والرضا عنه ، ومقابلة ما جاء من قِبله بالحمد والشكر ، كما قيل :

لَئِنْ ساءنى أن نِلتنى بمساءةٍ فقدْ سرّنى أنّى خطرتُ ببالِكا (٢)

لله درُّها من عابدة وليّةٍ تقيّة !! وكيف لا ، وهى زوجة فتح الموصلي ، ولّي من كبار أولياء هذه الأمة ؟!! .

قال إبراهيم بن عبد الله : « صدع فتح الموصلى ، فقال : يا ربِّ ، ابتليتنى ببلاء الأنبياء ، فشُكْرُ هذا أن أصلي الليلة أربعمائة ركعة » (٣) .

وقال بشر بن الحارث : « بلغني أن بنتاً لفتح الموصلي عَرِيت ، فقيل له : ألا تطلب من يكسوها ؟ فقال : لا ، أدعها حتى يرى الله عز وجل عُريها

---

(١) تسلية أهل المصائب « ص ٣٣ » .
(٢) مدارج السالكين « ١٦٧/٢ » .
(٣) حلية الأولياء « ٢٩٢/٨ » .

وصبرى عليها . قال : وكان إذا كان ليالى الشتاء جمع عياله وقام بكسائه علهيم ، ثم قال : اللهم أفقرتنى وأفقرت عيالى ، وجوّعتنى وجوّعت عيالى ، وأعريتنى وأعريت عيالى ، بأىّ وسيلة توسلتُها إليك ، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك ، فهل أنا منهم حتى أفرح ؟ » (١) .

١٤ - نعمت المرأة الصابرة :

قال الأصمعي : خرجت أنا وصديق لي إلى البادية ، فضللنا الطريق فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق، فقصدناها ، فسلمنا فإذا امرأة ترد علينا السلام . قالت : من أنتم ؟ قلنا : قوم ضلوا عن الطريق أتيناكم فأنسْنا بكم . فقالت : يا هؤلاء ، ولّوا وجوهكم عني حتى أقضى من حقكم ما أنتم له أهل ، ففعلنا ، فألقت لنا مِسحاً فقالت : أجلسوا عليه إلى أن يأتى ابني .

ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها ، إلى أن رفعتها فقالت : « أسأل الله بركة المقبل ، أما البعير فبعير ابني ، وأما الراكب فليس بابني ، فوقف الراكب عليها فقال : يا أم عقيل أعظم الله أجرك فى عقيل .

قالت : ويحك !! مات ابني ؟ قال : نعم . قالت : وما سبب موته ؟ قال : ازدحمت عليه الإبل فرمت به فى البئر .

فقالت : انزل فاقض ذمام القوم ، ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه ، وقرب إلينا الطعام ، فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها ، فلما فرغنا خرجت إلينا وقد تكورت ، فقالت : يا هؤلاء ، هل فيكم من يُحسن من كتاب الله شيئاً ؟ قلت : نعم ، قالت : اقرأ عليّ من كتاب الله آيات أتعزى بها .

---

(١) السابق نفسه .

قلت : يقول الله عز وجل في كتابه ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [(١)] .

قالت آلله إنها لفي كتاب الله هكذا ؟ قلت : الله إنها لفي كتاب الله هكذا . قالت: السلام عليكم ، ثم صفّتْ قدميها وصلت ركعات ، ثم قالت : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، عند الله أحتسب عقيلاً – تقول ذلك ثلاثاً – اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني به [(٢)] .

١٥ – كيف لا أكونُ راضياً ؟! :

كان عمران بن حصين قد استسعى بطنه ، فبقي مُلقىً على ظهره ثلاثين سنة ، لا يقوم ولا يقعد ، قد نُقب له في سريرٍ من جريدٍ كان عليه – موضع لقضاء حاجته – فدخل عليه مطرّف بن عبد الله الشخير وأخوه العلاء ، فجعل يبكي لما يراه من حاله ، فقال : لمَ تبكي ؟ قال : لأني أراك على هذه الحالة العظيمة . قال : لا تبكِ ، فإن أحبَّهُ إلى الله تعالى ، أحبّه إليّ ثم قال : أُحدّثك حديثاً لعلّ الله أن ينفعك به ، وأكْتُم عليّ حتى أموت ، إن الملائكة تزورني فآنسُ بها ، وتُسلّم عليّ فأسمع تسليمها ، فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة ، إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة ، فمن يشاهد هذا في بلائه ، كيف لا يكون راضياً به [(٣)] .

---

(١) سورة البقرة الآيات « ١٥٥ – ١٥٧ » .
(٢) عودة الحجاب « ٥٤٨/٢ » .
(٣) الإحياء « ٣٦٨/٤ » .

١٦ - اللهم رضّنى بقضائك :

عن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : مالي فى الأمور هوىً سوى مواضع قضاء الله عز وجل فيها .

وعن عبد العزيز بن سبرة عن أبيه عن جده قال : « لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وسهلُ ابن عبد العزيز ، ومزاحمٌ مولى عمر ، فى أيام متتابعة ، دخل عليه الربيع بن سبرة فقال : عظمَّ الله أجرك يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أحداً أُصيب بأعظم من مصيبتك فى أيام متتابعة ، والله ما رأيت مثل ابنك ابناً ، ولا مثل أخيك أخاً ، ولا مثل مولاك مولىً قط .فطأطأ رأسه ، فقال لي رجل معه على الوساد : لقد هيَّجت عليه . قال : ثم رفع رأسه فقال : كيف قلتَ لي يا ربيع ؟ فأعدتُ عليه ما قلت أولاً ، فقال : لا ، والذى قضى عليه - أو قال : عليهم - الموت ، ما أحبّ أن شيئاً كان من ذلك لم يكن » .

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - : « لقد تركتنى هؤلاء الدعوات ، وما لي شيء من الأمور كلها أربٌ إلا فى مواقع قدَرَ الله ، وكان كثيراً ما يدعو : اللهم رضّنى بقضائك ، وبارك لي فى قدرك حتى لا أحب تعجيل شيء أخَّرته ، ولا تأخير شيء عجَّلته » (١) .

١٧ - أحبُّ قضاء الله :

عن الأعمش بن عمرو بن مرة قال : « كان الربيع بن خثيم قد أصابه

(١) نقلاً من صلاح الأمة « ٤ / ٥١٧ » .

فالج ، قال : فسال من فيه ما ء فجرى على لحيته ، فرفع يده فلم يستطيع أن يمسحه ، فقام إليه بكر بن ماعز فمسحه عنه ، فلحظه ربيع ثم قال : يا بكر ، والله ما أحبُّ أن هذا الذى بي بأعتى الديلم على الله » (١) .

١٨ - إنى لأشكرها :

نظر رجل إلى قرحة فى رِجل محمد بن واسع ، فقال : إنى لأرحمك من هذه القرحة فقال : « إنى لأشكرها منذ خرجتْ إذ لم تخرج فى عينى » (٢) .

١٩ - أحبُّ أن أزيده :

عن أبى عمرو الكندى قال : « أغارت الروم على جواميس لبشير الطبرى نحواً من أربعمائة جاموس . قال : فاستركبنى ، فركبت معه أنا وابن له . قال : فلقينا عبيده الذين كانوا مع الجواميس ، معهم عِصيّهم ، قالوا : يا مولانا ، ذهبت الجواميس . فقال : وأنتم أيضاً فاذهبوا معها ، فأنتم أحرار لوجه الله . فقال له ابنه : يا أباه ، أفقرتنا ؟ فقال : اسكت يابُنّى ، إن ربى عز وجل اختبرنى ، فأحببتُ أن أزيده » (٣) .

٢٠ - كيف كان رضاه عن الله ؟! :

قال أبو عبد الرحمن حاتم الجرجانى : بلغنى « إن لله تبارك وتعالى عباداً إلا أن بعضهم أرفع من بعض ، ذهبت أُعزّي رجلاً ، وقد قتلت الترك ابنه ، فبكى حيث رآنى ، فقلت : ما يبكيك ، وقد قُتل ابنك فى سبيل الله ؟ قال :

---

(١) الرضا عن الله « ص ١٠٦ » .
(٢) الإحياء « ٤/ ٣٦٥ » .
(٣) الرضا عن الله « ٥٤ » .

يا أبا عبد الرحمن ، أنت تظن أني أبكي لقتله ؟! إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله حيث أخذته السيوف » [(١)] .

٢١ - أصبحتُ مالكاً للدنيا :

عن الحسن قال : كان رجل بالمصيصة ذاهب النصف الأسفل ، لم يبق منه إلا روحه في بعض جسده ، ضريرٌ على سرير مثقوب ، فدخل عليه داخل فقال له : كيف أصبحت يا أبا محمد ؟ قال : مَلِكُ الدنيا ، منقطعٌ إلى الله ، ما لي إليه من حاجة إلا أن يتوفاني على الإسلام » [(٢)] ، لله دَرك ! ما أعظمه من رضا !! .

٢٢ - لا تُعزُّوني :

قال محمد بن أبي القاسم مولى بني هاشم : « وعظ عابد جبّاراً ، فأمر به فقُطعت يداه ورجلاه ، وحُمل إلى متعبَّده ، فجاءه إخوانه يُعزُّونه . فقال : لا تُعزُّوني ، ولكن هنئوني بما ساق الله إليّ . ثم قال : إلهي ، أصبحتُ في منزل الرَّغائب ، أنظرُ إلى العجائب . إلهي أنت تودَّد بنعمتك إلى مَنْ يؤذيك ، فكيف تودُّدك إلى من يُؤذَى فيك [(٣)] .

٢٣ - ثواب الصبر والرضا :

قال التنوخي : أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي قال : رأيت امرأة بالبادية ، وقد جاء البرد فذهب بزرع كان لها ، فجاء الناس يعزونها فرفعت طرفها إلى السماء وقالت : اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف ، وبيدك

---

(١) الرضا عن الله « ١٠٤ » .
(٢) الرضا عن الله « ص ٩٧ » .
(٣) الرضا عن الله « ص ٩٧ » .

التعويض عما تلف ، فافعل بنا ما أنت أهله ، فإن أرزاقنا عليك ، وآمالنا مصروفة إليك .

قال : فلم أبرح حتى جاء رجل من الأجلاَّء فحُدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار (١) .

(١) نقلاً من : « مواقف إيمانية » ص ٣٢٣ » .

الأسباب المعينة على الصبر والرضا وعلاج الهموم

من طبيعة هذه الحياة الدنيا ، الهموم والغموم والمصائب التى تصيب الإنسان فيها ، فهى دار الأدواء والشدة والضنك والكوارث والمصائب ، ولهذا كان مما تميزت الجنة به عن الدنيا أنه ليس فيها هم ولا غم ﴿ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾ (١) ، وأهلها لا تتكدر خواطرهم ولا بكلمة ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا (٢٦) ﴾ (٢) ، وطبيعة الحياة الدنيا والمعاناة والمقاساة التى يواجهها الإنسان فى ظروفه المختلفة وأحواله المتنوعة .

فوجب عليه الصبر والتجلد ، ولا شك فى أن الصبر مقام رفيع ، وطاعة يحبها الله عز وجل ، ويحب أهلها كما قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) ، وقد جعل الله عز وجل ثواب الصبر بغير حساب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٤) ، والصبر واجب حتم ، أما الرضا فهو أعلى رتبة منه ، وجزاؤه رضا الله عز وجل الذى هو أكبر من جنة الله كما قال تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الحجر الآية « ٤٨ » .
(٢) سورة الواقعة الآية « ٢٥ » .
(٣) سورة آل عمران الآية « ١٤٦ » .
(٤) سورة الزمر الآية « ١٠ » .
(٥) سورة التوبة الآية « ٧٢ » .

وهناك ما يعين على ذلك ، منها :

١ - استشعار النفس بما تعلمه من نزول الفناء ، وتقضيّ المسارّ ، وأن لها آجالاً منصرمة ، ومُدداً منقضية ، إذ ليس للدنيا حال تدوم ، ولا لمخلوق فيها بقاء ، وسُئل عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن الدنيا ، فقال : تغرّ وتضرّ وتمرّ .

٢ - أن يتصور انجلاء الشدائد ، وانكشاف الهموم ، وأنها تتقدر بأوقات لا تنصرم قبلها ، ولا تستديم بعدها ، فلا تقْصُر بجزع ، ولا تطول بصبر ، وأن كل يوم يمرّ بها ، يذهب منها بشطر ، ويأخذ منها بنصيب ، حتى تنجلي وهو عنها غافل .

وحُكي أن الرشيد حبس رجلاً ، ثم سأل عنه بعد زمان ، فقال للموكّل به : قل له كلٌّ يوم يمضي من نعيمك ، يمضي من بؤس مثله ، والأمر قريب ، والحكم لله تعالى . فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء ، فقال :

لو أنَّ ما أنتُم فيه يدْوم لكُمْ ... ظننت ما أنا فيه دائماً أبداً
لكنني عالم أنّي وأنّكُمُ ... سنستجدٌّ خلاف الحالتين غدا

٣ - أن يعلم أن فيما وُقِيَ من الرزايا ، وكُفِي من الحوادث ، ما هو أعظم من رزيته ، وأشد من حادثته ، ليُعلم أنه ممنوح بحسن الدفاع ، قيل للشعبيّ في نائبة : كيف أصبحت ؟ قال : بين نعمتين : خير منشور ، وشرٌّ مستور . وقال بعض الشعراء :

لا تكْرَه المكروه عند حُلوله ... إنَّ العواقبَ لم تزلْ متباينهْ
كم نعمةٍ لا تستقلٌّ بشكرها ... لله في طيّ المكاره كامنهْ

٤ - أن يتأسّى بذوي الغِير ، ويتسلى بأولي العِبَر ، ويعلم أنها الأكثرون عدداً ، والأسرعون مدداً ، فيستجدّ من سلوة الأسى ، وحُسن العزا ، ما يخفف

شجوه ، ويُقلُّ هلعه .

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الصقوا بذوى الغِيَر ، تتسْع قلوبكم ، وعلى مثل ذلك كانت مراثى الشعراء . قال أبو نواس :

المرءُ من مصائبٍ لا تنقضى ... حتى يُوارَى جسمُه فى رمسِهِ
فمؤجّل يلقى الردى فى أهْله ... ومُعجَّل يلقى الردى فى نفسه

٥ – أن يعلم أن النعم زائرة ، وأنها لا محالة زائلة ، وأن السرور بها إذا أقبلت ، مشُوبٌ بالحذر من فراقها إذا أدبرت ، وأنها لا تفْرِح بإقبالها فرحاً ، حتى تُعْقِب بفراقها تَرَحاً ، فعلى قدر السرور يكون الحزن ، وقد قيل فى منثور الحكم : المفروح به ، هو المحزون عليه ، وقيل : مَنْ بلغ غاية ما يحب ، فليتوقَّع غاية ما يكره . وقال بعض الحكماء : من علم أن كل نائبة إلى انقضاء حُسن عزاؤه عند نزول البلاء ، وقيل للحسن البصرى – رحمه الله – : كيف ترى الدنيا ؟ قال : شغلنى توقع بلائها ، عن الفرح برخائها .

٦ – أن يعلم أن سروره مقرون بمساءة غيره ، وكذلك حزنه مقرون بسرور غيره ، إذا كانت الدنيا تنتقل من صاحب إلى صاحب ، وتصل صاحباً بفراق صاحب ، فتكون سروراً لمن وصلته وحزناً لمن فارقته . قال المتنبى :

بذا قضتِ الأيامُ ما بين أهلِها ... مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائد

وأنشد بعض أهل الأدب :

ألا إنما الدنيا غضارة أَيكة ... إذا اخضرَّ منها جانبٌ جفَّ جانبٌ
فلا تفرحَنْ منها لشيء تفيدُه ... سيذهب يوماً مثلَ ما أنت ذاهبٌ
وما هذه الأيام إلاّ فجائعٌ ... وما العيش واللذاتُ إلا مصائب

٧ – أن يعلم أن طوارق الإنسان من دلائل فضله ، ومِحنه من شواهد نُبْله ، وذلك لإحدى عِلّتين : إما لأن الكمال مُعْوِز ، والنقصَ لازم ، فإذا تواتر الفضل عليه ، صار النقص فيما سواه .

٨ – ما يعتاضه من الارتياض بنوائب عصره ، ويستفيد من الحُنكة ببلاء دهره ، فيصلُب عوده ، ويستقيم عموده ، ويكمل بأدنى شدته ورخائه ، ويتعظ بحالة عفوه وبلائه . حكي عن ثعلب قال : دخلت على عُبيد الله بن سليمان بن وهب وعليه خِلَع الرضا بعد النكبة ، فلما مَثَلْت بين يديه قال لي : يا أبا العباس ، اسمع ما أقول :

نوائبُ الدهر أدّبتني — وإنما يُوعظ الأديب
قد ذُقت حُلواً وذقت مُراً — كذاك عيش الفتى ضُروبُ
لم يمض بؤس ولا نعيمٌ — إلا ولي فيهما نصيبُ
كذاك من صاحب الليالي — تغذُوه من دَرّها الخطوبُ

فقلت : لمن هذه الأبيات ؟ قال : لي .

٩ – أن يختبر أمور زمانه ، ويتنبه على صلاح شأنه ، فلا يغترّ برخاء ، ولا يطمع في استواء ، ولا يؤمل أن تبقى الدنيا على حالة ، أو تخلو من تقلب واستحالة ، فإن من عرف الدنيا ، وخبَر أحوالها ، هان عليه بؤسها ونعيمها .

١٠ – أن يجعل العبد الآخرة همّه ، فهموم الدنيا تشتت النفس وتفرّق شملها ، فإذا جعل العبد الآخرة همّه جمع الله له شمله وقويت عزيمته ، كما روى أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن**

كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه وفرّق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدّر له » (١) .

قال ابن القيم – رحمه الله – : إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمّل الله عنه سبحانه حوائجه كلها ، وحمل عنه كل ما أهمّه ، وفرّغ قلبه لمحبته ، ولسانه لذكره ، وجوارحه لطاعته ، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمّله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه ، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ، ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم ، فهو يكدح كدح الوحوش فى خدمة غيره .. فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلى بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** (٣٦) ﴾ (٢) .

١١ – التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة ، فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الهم والغم ، ويحث العبد على الشكر الذى هو أرفع المراتب وأعلاها حتى ولو كان العبد فى حالة فقر أو مرض أو غيرهما من أنواع البلايا . فإنه إذا قابل بين نعم الله عليه التى لا تحصى ولا تعدّ وبين ما أصابه من مكروه ، لم يكن للمكروه إلى النعم نسبة ، بل المكروه والمصائب إذا ابتلى الله بها العبد ، وأدى فيها وظيفة الصبر والرضى والتسليم ، هانت وطأتها ، وخفت مؤنتها ، وكان تأميل العبد لأجرها وثوابها والتعبد لله بالقيام بوظيفة الصبر والرضا ، يدع الأشياء المرة حلوة فتنسيه حلاوة أجرها مرارة صبرها .

ومن أنفع الأشياء فى هذا الموضع استعمال ما أرشد إليه النبى ﷺ فى

(١) **صحيح** : رواه الترمذى « ٢٣٨٩ » وصححه الألبانى فى صحيح الجامع « ٦٥١٠ » .
(٢) الفوائد « ص ١٥٩ » ، ط دار البيان .

الحديث الصحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم** » [(١)] .

فإن العبد إذا نصب بين عينيه هذا الملحظ الجليل ، رأى نفسه يفوق قطاعاً كبيراً من الخلق فى العافية وتوابعها ، وفى الرزق وتوابعه مهما بلغت به الحال فيزول قلقه وهمّه وغمّه ، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله التى فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها .

١٢ - التوقع المستمر والاستعداد النفسى لجميع الاحتمالات ، فإن الإنسان إذا استحضر فى نفسه فقد عزيز أو مرض قريب أو وقوعاً فى دين أو قهر عدو أو أى احتمال سيء مما لم يحدث بعد - مع استعاذته بالله من ذلك ورجاء السلامة - فإنه لو وقع له شيء من ذلك حقيقة سيكون أهون عليه وأخف وطأة لتوقعه المسبق .

ومما ينبغى التنبه له أن كثيراً من الناس من ذوي الهمم العالية يوطنون أنفسهم عند وقوع الكوارث والمزعجات على الصبر والطمأنينة ، لكن عند لأمور التافهة البسيطة يقلقون ويتكدر الصفاء ، والسبب فى هذا أنهم وطنوا نفوسهم على الأمور الكبار ، وتركوها عند الأمور الصغار فضرتهم وأثرت فى راحتهم ، فالحازم يوطن نفسه على الأمور الصغيرة والكبيرة ويسأل الله الإعانة عليها ، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين ، فعند ذلك يسهل عليه الصغير ، كما سهل عليه الكبير ويبقى مطمئن النفس ساكن القلب مستريحاً .

---

(١) صحيح : رواه الترمذى « ٢٥١٣ » وهو فى صحيح الجامع برقم « ١٥٠٧ » .

١٣ - إذا العبد صبر واحتسب فإن الله يعوضه ولا يخيبه :

من كُلّ شيءٍ إذا ضيعته عِوضٌ وما مِنَ الله إن ضيّعت من عوض

١٤ - الجزع لا يرد المصيبة ، بل يضاعفها ، وهو بجزعه يزيد في مصيبته، حيث يشمّتُ أعداءه ، ويسوء أصدقاءه ، ويغضب ربّه ، ويسر شيطانه ، ويُحبط أجره ، ويضعف نفسه .

قال بعض الحكماء : العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ، ومن لم يصبر صبر الكرام ، سَلا سلو البهائم .

١٥ - أن يعلم العبد أن البلاء للمؤمن إما أن يكون تكفيراً لذنوبه أو رفعاً لدرجته ، فالله عز وجل يبتلى المؤمنين يربيهم بالبلاء ، ويهذبهم به حتى يصلحوا لمجاورته في الجنة ، ويبتلى الكافر والفاجر من أجل أن يهلكه ، ويزيل عينه وأثره .

١٦ - أن يعلم العبد أن عواقب الأمور تتشابه في الغيوب ، فربّ محبوب في مكروه ، ومكروه في محبوب ، قال تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)** ﴾ [1] .

١٧ - أن يعلم أن في البلايا فوائد خفية وحِكماً مطوية . قال التنوخي : كان يقال : المحن آداب الله لخلقه ، وتأديب الله يفتح القلوب والأبصار .

وقال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول الكاتب يصف الفضل بن سهل ويذكر تقدمه وعلمه وكرمه ، وكان مما حدثني به أنه

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢١٦ » .

برئ من علّةٍ كان فيها ، فجلس للناس وهنّوه بالعافية ، فلما فرغ الناس من كلامهم قال الفضل : إنّ فى العلل لنِعَماً لا ينبغى للعاقل أن يجهلها : تمحيص للذنب ، وتعرض لثواب الصبر ، وإيقاظ من الغفلة ، وإذكار بالنعمة فى حال الصحة ، واستدعاء للمثوبة ، وحضّ على الصدقة ، وفى قضاء الله قدره بعدُ الخيار .

١٨ – أن يتدبر العبد إذا ابتلي ببلاء عِزّ الربوبية وذل العبودية ، فيعلم أن الله عز وجل يبتلى من شاء من عباده بما شاء من ألوان البلاء لا راد لقضائه ولا مُعقب لحكمه ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** (٢٣) ﴾ [(١)] .

١٩ – أن يعلم أن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . قال ابن الجوزى : البلايا على مقادير الرجال : فكثير من الناس تراهم ساكتين راضين بما عندهم من دين ودنيا ، وأولئك قوم لم يرادوا لمقامات الصبر الرفيعة ، أو علم ضعفهم عن مقاومة البلاء فلَطِفَ بهم [(٢)] .

عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، أى الناس أشد بلاءً ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلي الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة** » [(٣)] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية « ٢٣ » .
(٢) فصلاً من « مواقف إيمانية » ص ١٩٧ .
(٣) صحيح : أخرجه أحمد « ١/ ١٧٢ » .

٢٠ – أن يعلم أنه عبد مملوك ، والعبد ليس له أن يعترض على سيده .

كما قال بعضهم :

صـــرتُ لـهـم عـــبــــداً وممـــا للعـــبـــد أن يعـــتـــرض

٢١ – أن يتذكر عظمة الله عز وجل الذى ابتلاه بالبلاء .

قال أبو الوفاء بن عقيل : مات ولدي عقيل ، وكان قد تفقه وناظر وجمع أدباً حسناً ، فتعزيت بقصة عمرو بن عبد وُدٍّ الذى قتله عليّ بن أبى طالب ، فقالت أمه ترثيه :

لو كـان قـاتلُ عـمـرو غـيـرَ قـاتله مـــازلتُ أبكى عليـــه دائم الأبد

لكنّ قـــاتله من لا يُعـــاب به من كـان يُدعى أبوه بيـضـة البلد

فأسلاها وعزّاها جلالة القاتل والافتخار بأن ابنها مقتول له .

٢٢ – الدعاء ، وهو نافع جداً وباب عظيم ، من طرقه نال ما يرجو ويأمل.

● عن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم عندك احتسب مصيبتى فأجرنى فيها وابدلنى خيراً منها** »[(١)] .

● عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « **لا يتمنى المؤمن الموت من ضر أصابه فإن كان لابد فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي** »[(٢)] .

● عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : « **لا إله إلا**

---

(١) صحيح : أخرجه النسائى فى اليوم والليلة « ١٠٧١ » والترمذى « ٣٥٧٨ » وأبو داود « ٣١١٩ » .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود « ٣١٠٩ » والنسائى فى اليوم والليلة « ١٠٦٠ » .

الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » (١) .

● وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال : « **يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث** » (٢) .

● وعن أسماء بنت عُميس - رضى الله عنها - قالت : قال لي رسول الله ﷺ ألا أُعلِّمك كلمات تقولينهنَّ عند الكرب أو فى الكرب : « **الله الله ربى لا أشرك به شيئاً** » (٣) .

● قال ﷺ : دعوات المكروب : « **اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلحْ لي شأنى كله لا إله إلا أنت** » (٤) .

فإذا لهج العبد بهذه الأدعية بقلب حاضر ، ونية صادقة ، مع اجتهاده فى تحصيل أسباب الإجابة ، حقق الله له ما دعاه ورجاه وعمل له ، وانقلب همه فرحاً وسروراً .

والدعاء إذا كان من قلب معمور بالإيمان أزال الهمّ وجلب الفرج وقد ذكر أهل العلم قصصاً كثيرة لأناس دعوا الله فى محن وكرب فأجاب الله دعاءهم فخلّصهم من عدو أو من غرق أو من جوع ومهلكة ، ومن ذلك ما وقع للصحابى الجليل العلاء الحضرمي وكان من سادات العلماء العباد ومن أولياء الله مجابي الدعوة ، حدث له فى غزوة المرتدين من أهل البحرين أنه نزل

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى « ٦٣٤٦ » ومسلم « ٢٧٣٠ » .
(٢) حسن : أخرجه الترمذى « ٣٥٢٤ » .
(٣) صحيح : أخرجه أبو داود « ١٥٢٥ » وابن ماجة « ٣٨٨٢ » .
(٤) حسن : أخرجه أبو داود « ٥٠٩٠ » .

منزلاً فلم يستقر الناس على الأرض حتى نفرت الإبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم ، وبقوا على الأرض ليس معهم شيء سوى ثيابهم - وذلك ليلاً - ولم يقدروا منها على بعير واحد ، فركب الناس من الهمّ والغمّ ما لا يُحدُّ ولا يوصف ، وجعل بعضهم يوصي إلى بعض - لقرب شعورهم بالموت - فنادى منادي العلاء فاجتمع الناس إليه ، فقال : أيها الناس ألستم المسلمين ؟ ألستم فى سبيل الله ؟ ألستم أنصار الله ؟ قالوا : بلى ، قال : فأبشروا فوالله لا يخذل الله من كان فى مثل حالكم ، ونودي بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى بالناس ، فلما قضى الصلاة جثا على ركبتيه وجثا الناس ، ونصب فى الدعاء ورفع يديه وفعل الناس مثله حتى طلعت الشمس ، وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلمع مرة بعد أخرى وهو يجتهد فى الدعاء فلما بلغ الثالثة إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديراً عظيماً من الماء القراح ، فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا ، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل فج بما عليها لم يفقد الناس من أمتعتهم سلكاً ، فسقوا الإبل عللا بعد نهل ، فكان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السرية (١) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

محمد حامد محمد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

---

(١) البداية والنهاية « ٨٧٦/٣ » ذكر ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام .

الفهـرس